الدرس السادس عشر/ تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: قال المصنف-رحمه الله تعالى-:

"والأفضل في السّفر: مساعدة المحتاج، وإعانة الرّفقة، وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة. والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعيّة القلب، والهمّة على تدبّره، والعزم على تنفيذ أوامره، أعظم من جمعيّة قلب من جاءه كتابٌ من السّلطان على ذلك .والأفضل في وقت الوقوف بعرفة :الاجتهاد في التّضرّع والدّعاء والذّكر، والأفضل في أيام عشر ذي الحجّة: الإكثار من التّعبّد، لا سيما التّكبير والتّهليل والتّحميد، وهو أفضل من الجهاد غير المتعيّن، والأفضل في العشر الأواخر من رمضان: لزوم المساجد، والخلوة فيها، مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة النّاس، والاشتغال بهم، حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثيرٍ من العلماء، والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته وحضور جنازته، وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيّتك، والأفضل في وقت نزول النّوازل وإيذاء النّاس لك: أداء واجب الصّبر مع خلطتك لهم، والمؤمن الذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم وإيذائهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط النّاس ولا يصبر على أذاهم، وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه، وعزلتهم في الشّر أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلّله فخلطتهم خير من اعتزالهم".

الشيخ –حفظه الله–: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

تنبيه للمصنف جليل وجميل، بدأ بالعبادة والاستعانة، ثم انتقل إلى أقسام الناس حول شرطين: قبول العمل الإخلاص والاتباع، اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم تعرض لمسألة مهمة يحتاجها المسلم في كل حين: وهي التفضيل بين العبادات وما هي أكثر العبادات التي يحبها الله –عز وجل– وذكر بعدها عبادات وزيف ثلاث منها ورضي الآخر وهو الأخير وهو الذي سمعتموه في أفضل العبادات، أفضل العبادات: هي التي فيها إخلاص لله –عزوجل–، وفيها اتباع للنبي –صلى الله عليه وسلم– فحق العبادة إنما هو حق لله –عزوجل– {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}، وقال الله –عزوجل–: {وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍۢ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ* فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

{وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍۢ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ}: في موضوع العبادات أمره خالص لله –عزوجل–، فلا نميل للمذهب الأول الذي ذكره المصنف إلى شدة، فدعا الله الأنبياء، وما أرسل النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا رحمة للأمة، ولا نعمل على تجميع القلب، وقد يكون تجميع القلب صنما، وأن نترك الواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى، ولا نعمل بأدنى العبادة المتعدية أفضل من العبادة التي هي ليست متعدية، إلا بالضوابط الشرعية وذكرناه وفصلنا الحق من الباطل فيما ذكرنا في الدرس السابق، ومتى تكون العبادة المتعدية أفضل من العبادة غير المتعدية.

أفضل العبادات في هذا المذهب التي يحبها الله -عزوجل-: استغلال كل وقت بما هو وظيفة ذلك الوقت ووقتها، يعني الآن شهر رمضان أعظم الشهور، لماذا شهر رمضان أعظم الشهور؟ فرض الله علينا صيام نهاره، وقيام ليله، فأشغل وقتنا بالتمام والكمال النهار صائم، وليلا قائم، رجل قال: أنا أريد أن أصوم ولكن أريد أن أصوم في الليل، مقدار الصيام، ساعات الصيام، بدل أن أصوم في النهار، أصوم في الليل، هل فيه فضيلة للصيام في الليل كترك الطعام والشراب، وأقوم النهار بدلاً من الصلاة في الليل قيام رمضان أصلي في النهار، وأشغل نهاري بالصلاة، وأشغل ليلي بالصيام، ماذا نقول لهذا؟ مبتدع، فاجر، فاسق: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} شرع شيئا من بنات رأسه، فهذا ضلال.

نقرر الأمر بشيء آخر: رجل عابد -في صحيح البخاري-: "مكثنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- نصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً"، هل التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة أفضل أم التوجه بالصلاة إلى مكة المكرمة أفضل؟ أيهما أفضل؟

لما وجهنا الله تعالى إلى بيت المقدس كانت أفضل، ولما نسخ الله ذلك ووجهنا إلى بيت الله الحرام فهو الأفضل؛ فالعبادة أفضل في وقتها كما شرعها الله -عزوجل- قبلت قلوبنا أم لو تقبل؛ فهذا هو حكم الله.

الآن أول الليالي: ليلة القدر، أفضل الأيام: يوم عرفة، أحدهم قال: أنا ذاهب الأسبوع القادم إلى مكة المكرمة، ففي يوم من الأيام سأذهب إلى عرفة وأبيت فيها وأعيد فضل عرفة في غير التاسع من ذي الحجة، ووقف ودعا وتجرد من المخيط، لبس لباس الإحرام، ما حكم صنيعه؟ فضل عرفة ليس في هذا الوقت، فضل عرفة فضله كما شرع الله، لو ذهبنا الأسبوع القادم إلى مكة أو ذهبنا

إلى عرفة فلا فرق بين ليلة غد وبين ليلة عرفة، الوقوف بعرفة متى يكون فضله؟ يكون فضله في الوقت الذي شرعه الله -عزوجل-.

الصلاة: الصلاة أربع ركعات -فرض الظهر أو العصر أو العشاء- موقوتة بوقت؛ فإذا فاتت الصلاة فنؤديها في غير وقتها، هل هذا صحيح؟ هذا كالذي يريد أن يصوم في الليل، فيصليها ويجعل لها وقتا فإذا فات الوقت سنؤديها في غير وقتها ويفوت الفرض لها، هل يكون الفرض لها هكذا؟ طبعا لا، صلاة العشاء فرضها بوقتها أن يصلوا بها.

الشريعة هي التي تقرر؛ فالله -عزوجل- كما قال: {شَرَعَ لَكم مِنَ الدِّينِ ما وصّى بِهِ نُوحًا والَّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ وما وصَّيْنا بِهِ إبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى أنْ أقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُۖوَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَۖوَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْۖوَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍۖوَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖاللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْۖلَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖاللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖوَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} إذن الأمر لله -عزوجل-، فما فضل الله وعظم الله عظمناه، وما حقره الله حقرناه؛ فالشرع فضل أعمالاً، وفضل جنساً للأعمال، والكلام ليس على تفضيل الجنس، ولو استقرأنا الأحاديث -كما فعل الشاطبي في كتاب الموافقات: (25/5 وما بعد) وسيأتينا في آخر هذا المجلس كلامه -رحمه الله-، فالشرع ذكر أفعالاً في ظاهرها التعارض، وحقيقة الأمر لا تعارض، فالعبادة التي يحبها الله تعالى هي أداء واجب الوقت، لا نتكلم عن جنس العبادة وإنما نتكلم عن الوقت الذي تتعبد الله -عزوجل- به، فالأصل أن تترك هواك وأن تتبع أمر مولاك، فما حكم الله -عزوجل- به ووقته في واجب

الوقت هو الأصل: أفضل العبادات في وقت الجهاد الاستعداد للجهاد وإن تركت الصلاة الطويلة المطمئنة التي قال عنها النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أحب الصلاة إلى الله طول القنوت" طول القيام، فقد تصلي ولا تعي تماما ما تقول، ففي وقت الجهاد هو أفضل الأعمال عند الله –عزوجل–، ليس قراءة القرآن أفضل الأعمال وقت الجهاد الاستعداد للجهاد، الجهاد الشرعي له ثلاث شروط، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: "الإمام جُنة يقاتل الظالم..." جهاد بلا إمام فوضى، فالإمام.. الكفار استطاعوا أن يقالتوا المسلمين باللعب في الجهاد، فأوجدوا دواعي والغلاة أوجدوه ليغيروا معني الإسلام وكانوا سبباً في صد الناس عن الإسلام، إخواننا الذين يعملوا في الغرب: أوروبا وأمريكا وكندا وغيرها، كانوا يقبلون الناس إلى دين الله فلما قامت هذه الأشياء صدوا الناس عن سبيل الله.

الجهاد له ثلاثة شروط، الشرط الأول: الإمام يقاتل وراءه، ثم أن تكون الراية غير عمية من قاتل تحت راية عمية فمات فميتته جاهلية، ثم الشرط الثالث: فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، هذه الأمور الثلاثة الشرعية للجهاد.

الآن أحب الأعمال عند الله –عز وجل– في وقت الجهاد: الاستعداد للجهاد، فغيره فضل الذكر، فضل قراءة القرآن، وفضل القيام، في وقت الجهاد انظر. فالأفضل للشرع ما جاء به الشرع.

أنا طالب علم ومحبوس في العلم، هذا الشيء يحبه الله؟ لا، ما هي أفضل الأعمال؟ كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "من كان يؤمن بالله فليكرم ضيفه.." وجود الضيف، إكرام الضيف هو أحب الأعمال إلى الله –عز وجل–، والأفضل في أوقات السهر الدعاء والاستغفار، فلكل وقت عبادة، والأفضل في وقت الآذان أن تردد مع الآذان وأن تقول كما يقول المؤذن وأن تصلي على النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى تنال الشفاعة، اليوم تجد عجبا بين الآذان والإقامة تنظر إلى

الساعة تقول باقي على الإقامة دقيقتين يأتي أحدهم إلى المصحف يريد القراءة وهو أجنبي عن القرآن، فطريقة قراءته في هاتين الدقيقتين دلالة على بعده عن القرآن، في حين أن أفضل العبادة بين الآذان والإقامة الدعاء، وهو مستجاب، ينبغي عليك أن تنزل العبادة منزلتها وأن تضع حق وقتها هو أمر خاص بالله -عزوجل- شرعه في كتابه أو على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- فأصلا ينبغي أن تكون عبداً لله -عز وجل- تفعل ما يحب الله في الوقت الذي شرعه الله -عز وجل-، فراعي في كل عاداتك أمر مولاك وأن تبعد هواك، وقت الصلوات الخمس أن تستعد لها، وأن تجد وتجتهد في إقامتها: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} وذلك يوم بالمبادرة في الذهاب إلى المسجد حتى تؤديها جماعة، وما كان السلف الصالح يعملون على صلاة الجماعة في غير بيوت الله -عزوجل-، وفي حديث عبد الله بن عمر الذي فيه الركعة بسبع وعشرين قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من توضأ في بيته ثم مشى إلى بيت الله"، ففضيلة الجماعة في مساجد المسلمين، وليست فضيلة الجماعة أن يتبعثر المسلمون يصلي كل مجموعة منهم في بيت أو في مجلس، ففضل وقت صلاة الجماعة أن تمشي إلى المسجد، وأفضل أوقات الضرورة أن تبذل ما تستطيع من جاه ومال وبدن، وأن ترفع عن الناس حاجتهم، فمن كان ذا لسان رفع الحاجة بالكلام، ومن كان ذا مال رفع الحاجة بالمال؛ فيؤدي الحق حقه، وقد كان من الصحابة منهم من صام ومنهم من أفطر والجو حارا، فعمل المفطرون على خدمة الصائمين أعدوا لهم الطعام، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ذهب اليوم المفطرون بالأجر"، ليس من البر الصيام في سفر، فالصائم إن احتاج إلى خدمة غيره مسافرا فالفطر أحب إلى الله عزوجل من صيامه، وأما إن كان جلدا قويا وليس بحاجة إلى خدمة غيره فلا حرج إن صام، وهذا ما وقع مع أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في أسفاره يتفقد المحتاج، ويتفقد المنقطع عن الناس،

والأفضل في قراءة القرآن يأتي الآن القول الذي ذكره سابقا: أن تجمع قلبك على قراءة القرآن، لأن في الجماعة يتفلت القلب في جمعيته عن الله عزوجل؛ بل قال بعضهم كما ذكرنا في الدرس الماضي: لو أنك قمت إلى صلاة فيتشتت قلبك فأن تبقى في المكان الذي يجتمع فيه قلبك وأنت في جماعة خير لك؛ لأن العبرة تجميع القلب على الله -عزوجل-، وهذا ضلال، بعض الناس في بعض الأماكن يريدوا أن يخرجوا يقولون: تفضلوا اخرجوا معنا نحن في جهاد، نخرج معكم أين! فبعض الناس لا يبالي بالصلوات يحب أن يجمع قلبه على ربه فلما يأتي العدو لا يوجد حرم للجهاد، فالأفضل بإطلاق إنما هو الشدة أن تفعل الأشد أو أن تفعل فعل الخير الذي يتعدى خيره إلى الغير، هذا التفصيل بهذا الإطلاق كر عليه المصنف بكلام جيد يأتينا بعد قليل.

ما الأفضل في مسألة الوقوف بعرفة؟ الشرع نقل صلاة العصر إلى الظهر حتى لا تنقطع عن الدعاء بعرفة، الحاج بعرفة يجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم حتى إذا رفعت يديك بالدعاء تبقى تدعوا إلى غروب الشمس، فالشرع يريد من المكلف أن يتضرع بالدعاء، فخير الدعاء دعاء يوم عرفة، و:"خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"، فالإنسان في عرفة يترك الدعاء ويترك ما فضله النبي -صلى الله عليه وسلم- بحجة أن أفضل الأشياء غير الدعاء؛ فهذا قال حقاً ولم يصنع عدلاً، صلينا الفريضة وبعد الفريضة ما هو أحب الأعمال إلى الله؟ التسبيحات، وأحب التسبيحات أن ننوع كما نوع النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ننوع بينها كما علمنا النبي -صلى الله عليه وسلم-، إنسان سلم من الصلاة وحمل المصحف وبدأ يقرأ القرآن، وقراءة القرآن إحسان، قلنا: كلامك حق لكن ليس فيه عدل، ففي هذا الوقت بعد الصلاة التسبيحات أفضل من القراءة، فسبح ثم

اجلس اقرأ القرآن، اجعل كل عبادة التي فضلها الشرع في محلها ومكانها، فهذا أحب الأعمال إلى الله -عزوجل-.

قال: "الأفضل في وقت الوقوف بعرفة التضرع والدعاء والذكر" والأفضل في أيام العشر ذو الحجة العبادة الموقتة بوقت، وأرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها إلى فضل العمل، أفضل الأعمال في العشر ذي الحجة: الحج ركن الإسلام، وأفضل الأعمال في العشر الطواف بالبيت أن تطوف ببت الله -عزوجل- الذي هو ركن من أركان الحج طواف الإفاضة، وبعض الناس لا يراعي أفضلية الوقت، بعض حملات الحج يجمعون بين طواف الإفاضة وطواف الوداع في اليوم الثاني عشر تطوف طواف الإفاضة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "أحب الأعمال إلى الله أيام العشر من ذي الحجة، والعمل صالح في ذي الحجة أفضل من الجهاد في سبيل الله"، وهذه عبادة مؤقتة تنتهي في غروب شمس يوم العاشر والأفضلية تنتهي، ثم تأتي أيام العاشر ثم أيام القر، واليوم العاشر من أحب الأعمال إلى الله -عزوجل- ثم بعدها أيام القر، فنأخذ بمجموع ما ورد من النصوص، فالشاهد أن فضل العشر ثابت في الصحيح أنه أفضل من أيام الجهاد، والتفضيل بينها وبين العشر الأواخر من رمضان على ما ذكر الله -عزوجل-: أيام العشر الأوائل من ذي الحجة أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان، وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي العشر الأوائل من ذي الحجة، والأمر لله ليس لنا، ونقول بهذا لما ثبت في النصوص الشرعية فالأمر ليس إلينا فالتفضيل وميزة التفضيل هو تشريع خاص لله -عزوجل-، وليس لأحد أن يفضل شيئا إلا بنص، ومن هنا يظهر زيغ الأقوال السابقة التي ذكرناها في الدرس الماضي.

أخوك مريض فحق المسلم على المسلم: "إذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه" في وقت مرض أخيك أن تعوده، واحد له قريب مريض تزور قريبك أو جارك أو صاحبك هذا من أفضل الطاعات،

فوقت العيادة أحسن من قراءة القرآن، تؤدي حقا واجبا عليك، إذن الأفضل في كل عمل على حسب ما ورد في الشرع، والذي جاء فيه الشرع هو الأفضل.

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذى الناس-هذه مسألة مهمة تعرض لها المؤلف وأحسن فيها مع كلمات موجزة التي ذكرها-، الخلطة والعزلة أيهما أفضل مخالطة الناس أو أن تعتزلهم؟ من أجاب بجواب مطرد فقد أخطأ، لابد من تفصيل: رجل تائب نقول له اعتزل لا تخالط، لو خالط من كان معه جروه إليه، أنت ضعيف وتحتاج أن تعتزل أهل الشر، رجل لا يخاف عليه أن يتغير، وهو يؤثر ولا يتأثر، فهذا لاشك خلطته خير من عزلته، والمنقول عن النبي -صلى الله عليه وسلم: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"، مخالطة الناس مع التأثير عليهم بالخير مع الصبر على أذاهم أفضل، هذا منهج النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومنهج الصالحين، منهج الحريص على إيقاظ الخير في الناس بالحق والعدل، ولابد من ترك الفضول وابتعد عنه، وقد ذكرنا عن الإمام أحمد -رحمه الله- لما تكلم عن الزهد، قال: "زهد العوام ترك المحرمات، وزهد الخواص ترك الفضول" لا تشغل نفسك ولا قلبك ولا وقتك في الفضول، وأسأل نفسك إيش الفائدة من الكلام؟ إذا لم يكن فائدة فاسكت، فعليك بترك فضول الكلام، وفضول الطعام، وفضول المنام، استفد من وقتك لا تتابع الناس، ولا تنشغل بأقوال الناس، وعد الناس كالموتى لا تلتفت إليهم، فالعاقل له ساعة يخلوا بها مع الله عزوجل، وخير هذه الساعة ساعة بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد الفجر يجلس متربعا حتى تطلع الشمس"، وكان شيخ الإسلام يقول عن هذه الجلسة هذه غدوتي لولاها

ما استطعت أن أعيش، تكمن في سبب مقاطعته للناس من أهل الباطل فلذلك الذي نستمده منه في مقاطعة أهل الباطل هذه الجلسة، بعد الفجر حتى تطلع الشمس.
إذا انتفع الإنسان بالعزلة؛ فإنها عزلة شرعية، ليست لجوء إلى الكهوف والغيران كما يفعل الغفلان، العزلة الشرعية قائمة على أصلين: الأصل الأول: الزهد، والأصل الثاني: العلم، ما معني العزلة؟

ورحم الله علي القاري في شرحه للمشكاة قال: "العزلة بلا عين العلم زلة، والعزلة بلا زاي الزهد علة"، العزلة نسقط منها الزاي تصبح علة، فالعزلة بلا علم أو بلا زهد إما أنها زلة أو أنها علة، اسمع الآن إلى كلام المؤلف –رحمه الله– في موضوع الخلطة والعزلة، أيهما أفضل، إما تخالط في الخير أفضل من عزلته بكثير، وعزلته في الشر خير من خلطته، أينما تجد الشر اعتزله، رضي الله عن عمر لما قال: "إذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاعتزلهم"، إن أساؤوا أساؤوا لله، فإن كان في الخير فشاركهم في خيرهم، فإن علم أنه إذا خالطهم أزال المنكر، كما يقول أهل العلم: إما أن يزول كليا فهذا واجب، وإما أن يزول بعضه ويبقى بعضه فهذا لا يجوز، أو أن يزول ويحل محله بعد زواله شر منه؛ فهذا فيه غضب، وإما أن يترتب على زواله شر أكبر منه؛ فإزالته منكر.

هذا من الإنسان، فإنكار المنكر على أقسام، الأول: خير، إما أن يزول كليا أو أن يزول بعضه، فإن زال وحل محله مثله فيه نظر، فإن زال وحل محله ما هو أكبر منه؛ فهذا حرام، إنكار المنكر حرام، مثلا: خمارة وصاحب الخمارة فترتب على حرق الخمارة منكر، لو اشتكى عليه، ومن حرق بيت رويشد الثقفي الذي كان يبيع فيه الخمر، لكن ترتب عليه منكر أشد منه، فكان إنكار المنكر في هذه الصورة حرام شرعا، أصبح حراما شرعا.

إذا علم إن خالطه أزاله وضلله فخلطتهم خير من اعتزالهم، فالخلطة أن لا يعود الأمر عليه كما قلت واحد غريب له أصحاب وله ليال وله أصحاب في الحرام، حلته فإن رجع إلى أصحابه الذين كان معهم فالشر سيصيبه اعتزله واتركه، فهذه أمثلة قد ذكرها المصنف رحمه الله هي أمثلة، وهذه الأمثلة توثق قاعدة أن أفضل العبادات هي التي شرع الله، {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ *فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} لا نفضل شيئا من عندنا ، {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} فالحكم إلى شرع الله فما اختلفتم في شرع الله في وقت معين فهذا الذي يحبه الله سبحانه وتعالى، يعني كحال هذا الرجل في شهر رمضان قال لا أريد الصيام عندي الآن، الحكم الآن تقصير، الآن رمضان دخل هذا الأمر قد وجب، ففي هذا الوقت الذي شرعة الله هو الأفضل، فدائما الأفضل ما شرعه الله سبحانه وتعالى.

الآن بعد هذه الأمثلة انتقل المصنف إلى تفصيل المسألة ولهذا قال:

قراءة الطالب: "وهؤلاء هم أهل التّعبّد المطلق، والأصناف التي قبلهم أهل التّعبّد المقيّد، فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلّق به من العبادة وفارقه؛ يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته، فهو يعبد الله –تعالى– على وجه واحد، وصاحب التّعبّد المطلق ليس له غرض في تعبّد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبّع مرضات الله –تعالى–: إن رأيت العلماء رأيته معهم، وكذلك في الذّاكرين، والمتصدّقين، وأرباب الجمعيّة، وعكوف القلب على الله، فهذا هو الغذاء الجامع للسّائر إلى الله في كل طريق، والوافد عليه مع كل فريق.

واستحضر ههنا حديث أبي بكر الصدّيق –رضي الله عنه– ، وقول النّبي –صلى الله عليه وسلم– بحضوره: "هل منكم أحدٌ أطعم اليوم مسكينا؟، "قال أبو بكر: أنا، قال: "هل منكم

أحدٌ أصبح اليوم صائما؟ "قال أبو بكر: أنا، قال: "هل منكم أحدٌ عاد اليوم مريضا؟، " قال أبو بكر: أنا، قال -صلى الله عليه وسلم-: "هل منكم أحدٌ اتبع اليوم جنازةً؟، قال أبو بكر: أنا ... الحديث، هذا الحديث روي من طريق عبد الغني بن أبي عقيل، حدّثنا نعيم بن سالم، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال " :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا في جماعةٍ من أصحابه فقال: "من صام اليوم؟، "قال أبو بكر: أنا، قال: "من تصدّق اليوم؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "من عاد اليوم مريضا؟ "، قال أبو بكر: أنا، قال: "من شهد اليوم جنازةً؟"، قال أبو بكر: أنا، قال: "وجبت لك" يعني: الجنّة، ونعيم بن سالم وإن تُكلِّم فيه لكن تابعه سلمة بن وردان، وله أصل صحيح من حديث مالك..".

الشيخ -حفظه الله-: التعبد المطلق يدور مع الشرع حيث دار؛ فما حكم فيه الشرع فعله، وهناك تعبد مقيد، عنده قاعدة يجعلها الحاكم، الأصل في النص أنه حاكم ليس بمحكوم، بعض الناس عنده قاعدة تقول كل ما كان فيه شدة في العبادة فهو أفضل، أو كلما جمعت قلبك على رأي وزهدت في الدنيا كان أفضل، قد يأتي وقت عيادة مريض قال: استفتي قلبي، والتعبد المقيد يرد العبادة إلى أصول افترعها واخترعها، قد تكون صوابا، نعم العبادة المتعدية أحسن من العبادة غير المتعدية؛ لكن تكون في فرصة واحدة، وتجمع بين جميع ما ورد في الباب من دلائل، العباد والمجاهدون في صحيفة العلماء، والعبادة التي فيها جهاد فيه عبادة متعدية، يحطمون كل الحواجز التي تحول عن وصول الناس لدين الله، ولهذا الجهاد له فضل عظيم عند الله -عزوجل-، الحاكم العدل عبادته متعدية إلى غيره، والمنفق في سبيل الله أحسن ممن عنده مال يكنزه ولا ينفقه، والعبادة المتعدية أفضل، وهي أفضل بشرط: أن تكون برتبة واحدة، ما عارض بين زيادة مريض وبين أداء فريضة فريضة صلاة، إذا أردت أن تعود مريضا لا تترك الأذكار بعد الصلوات، وقت

العيادة وقت مطلق، ووقت الأذكار وقت مقيد، فصلي الفريضة واذكر الله -عزوجل- ثم اذهب وزر المريض، أداء الأذكار في وقتها هو الأفضل وإن كانت العبادة المتعدية أفضل من العبادة غير المتعدية، والصلاة عبادة غير متعدية؛ إذن هناك تعبد مطلق وهناك تعبد مقيد، والتعبد المطلق الذي ينزل كل وقت بما ورد في النصوص، فصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره؛ بل غرضه أن يتتبع مرضاة الله -عزوجل-، فأينما وجدها التزمها، وإذا رأيت العلماء كان معهم، وإذا رأيت الصديقين كان معهم، والذاكرين كان معهم، وإذا رأيت من يتدبر القرآن كان معهم، ولا يلزم من معهم أن يكون الذاكر في ذواتهم وأن يجلس مجالسهم، العرب تقول: سرت مع القمر، و: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}، و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، فمتى جاء وقت العبادة التي يحبها الله -عزوجل- كان معهم، وكل عبادة يحبها الله تعالى كان فيها، فهو مع المتصدقين، ومع الذاكرين، ومع المتدبرين لقراءة القرآن وما شابه، فهو مع الصادقين من عباد الله -عزوجل-.

ثم أومأ إلى فصل مهم وهذا الفصل ندندن حوله ونذكره دائما: ننظر إلى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما أن الله اختار محمدا من بين الأمم اختار أصحابه كما قال عبد الله بن مسعود.

ننظر إلى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف كانوا يعبدون الله؟ كانوا ينوعون، وكانوا أهل تعبد مطلق، وليس لهم شيء خاص، قال: "واستحضرُ حديث أبي بكر" وأنا أرى واستحضر خطأ، والصواب أن يقال: واستحضرْ حديث أبي بكر، فعل أمر فعل التماس، المساوي للمساوي يسمى التماسا، ومن الأعلى للأدنى أمر، ومن الأدنى للأعلى طلبا، في صحيح مسلم صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الفجر، وقال: "منكم أحد أطعم اليوم مسكينا؟، فقال أبو

بكر: أنا، قال: هل أصبح أحد منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: هل أحد منكم قد عاد مريضا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: هل أحد منكم قد تبع جنازة؟ قال أبو بكر: أنا"، الميت إذا مات في الليل قديما متى يدفن؟ ليلا، أبو بكر مات ليلا ودفن في الليل، ما نسقط وقتنا على وقته، فاليوم الإنسان إذا مات يضعوه في الثلاجة، كان شيخنا الألباني يقول: "متى جاءت الحاجة من وضع الميت في الثلاجة جاز دفنه ليلا"، صار الناس إذا مات أحدهم يقولون: اتركوه للصباح في الثلاجة وهذا خطأ، فمتى احتجنا وضع الميت في الثلاجة جاز دفنه ليلاً، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "هل أحد منكم قد تبع جنازة؟ قال أبو بكر: أنا"، وهذا يدل على أن أبا بكر اتبع الجنازة ليلاً، فلا تستغرب فاتباع الجنازة ليلا أمر مشروع شائع، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما اجتمعت في امرىء إلا دخل الجنة"، وهذا ضمان من الله -عزوجل- لكل مسلم أن يدخل الجنة، اجعل هذا المشروع مشروعك ولو مرة في العمر تجتمع فيك هذه الأعمال، لا تنس هذا المشروع، فلك ضمان من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تدخل الجنة، وهذه الأعمال سهلة، فقال أبو بكر: "وهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: نعم، وأنت منهم" لأبي بكر في كل باب خير فضل، وفضل الله واسع؛ فاجتمع في أبي في يوم واحد أربع عبادات، هذه الأربعة ما اجتمعت في حقه في يوم واحد دخل الجنة، فتح الله -عزوجل- له من الخير جمعنا الله وإياكم معه مع النبيين.

هذا الحديث ورد عن نعيم بن سالم، وهو متهم بالكذب، وهنا -لا أريد أفصل وأطول- ونعيم بن سالم يروي عن أنس أحاديث أسانيدها أعاجف، من ألف في الثلاثيات والسدسيات من المتأخرين اعتمد على رواية نعيم بن سالم عن أنس، وكان علو الإسناد مطلوبا، وكان العلو أحياناً يلازم الكذب، وهذا أكثر ما يظهر عند من يروي عن الجن، كان شيخ مشايخنا عبد الحي الكتاني

إجازة من ولده عبد الرحمن أجازني –ومات من قريب– الشيخ عبد الحي الكتاني كان يروي عن تابعي زعم هرموش جني، ويقول بيني وبين النبي ثلاثة أجيال، وهذا ليس بصحيح، فكان علو الإسناد مطلباً.

الحديث صحيح لا مشكلة فيه، الكذاب يروي الحديث الصحيح ليروج كذبه، حتى يروج كذبه يروي مائة حديث صحيح، وهذه المائة صحيحة بأحاديث غيره، وأما من طريقه فهي موضوعة وكذب، لكن كيف حكمنا على هذا الحديث بأنه صحيح؟ لثبوته بإسناد صحيح في صحيح مسلم من غير طريقه.

لماذا يذكر العلماء هذا؟ هذا منهج لأهل العلم يسلكه أهل التصنيف في جمعهم باباً واحداً في التصنيف، انظروا "اجتماع الجيوش الإسلامية" لابن القيم، كتاب بديع في إثبات أن الله جل علاه علي على خلقه، فأتى بالآيات ثم بالأحاديث الصحيحة، ثم الأحاديث الحسنة، ثم الأحاديث الضعيفة، ثم الأحاديث الموضوعة، ويجمع العساكر والدساكر ويسوق ما ورد في الباب، الإمام الذهبي في العلو للعلي الغفار لما ذكر علو الله عزوجل ذكر أعيان كل علم في جميع أنواع العلوم حتى النحاة وأهل اللغة، وبقي يذكرهم واحدا واحدا من أعيان أصحاب العلوم كلهم، وذكر أقوالهم في إثبات أن الله عزوجل علي على خلقه، وذلك لإدخال اليقين في قلبك، والأمر العملي الذي كان عليه ليس فقط الصحابة والتابعين؛ بل أعيان العلماء.

الخلاصة: أتى المصنف بأقوال الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر، وكان ينوع العبادات، وكان يجتمع فيه عبادات عديدة في مكان واحد، وأفضل العبادات تجميع القلب على الرب، ثم نأتي إلى تتمة في البحث وهي تتمة مهمة.

قراءة الطالب: "عن محمد بن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنّة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصّلاة نودي من باب الصّلاة، ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريّان" فقال أبو بكر –رضي الله عنه–: يا رسول الله، ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة، فهل يدعى أحدٌ من هذه الأبواب كلها؟، قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم".

هكذا رواه عن مالك موصولاً مسندًا عن يحيى بن يحيى، ومعن بن عيسى، وعبد الله بن المبارك، ورواه يحيى بن بكير، وعبد الله بن يوسف، عن مالك عن ابن شهاب، عن حميد مرسلاً. وليس هو عند القعنبي مرسلاً ولا مسندًا، ومعنى قوله: "من أنفق زوجين" يعني: شيئين من كل نوعٍ واحدٍ، نحو درهمين، أو دينارين، أو فرسين، أو قميصين، وكذلك من صلّى ركعتين، أو مشى في سبيل الله –تعالى– خطوتين، أو صام يومين، ونحو ذلك، وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار، وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البرّ، لأن الاثنين أقل الجمع، فهذا كالغيث أين وقع نفع، صحب الله بلا خلق، وصحب الخلق بلا نفس، إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلّى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلّى عنها، فما أغربه بين النّاس، وما أشدّ وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه".

الشيخ –حفظه الله–: هذا الحديث ثابت في الصحيحين موصول، وقع فيه خلاف ابن مالك كسائر الأحاديث، ونقل المصنف كلام الحافظ ابن عبد البر في كتابه التمهيد، وابن عبد البر صنف كتابه على شيوخ الإمام مالك، ونقل الخلاف الوارد فيه، منه من رواه موصولا، ومنه من رواه عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف مرسلا دون ذكر الصحابي أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– الخلاصة الحديث هذا في الصحيحين، والحديث فيه تنويع أن في التنويع عبادة، والنبي رغب في ذلك من أنفق زوجين في سبيل الله كان له الجنة، يا عبد الله هذا خير، ومن كان من أهل الصلاة، ثم من كان من أهل الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، فهذا دلالة على تنوع العبادات، أما أثر تنوع العبادات على القلب كأثر تنوع الطعام على البدن، إن أكلت صنفا واحدا قد تصاب بشيء، يصير عندك نقص في مادة كذا وكذا، فالقلب كلما نوعت العبادات عليه كلما صح وقوي وصار في طريقه إلى الله –عزوجل– حتى يوصل صاحبه إلى الجنة، فيكون القلب صحيحا غير معتل، ويكون سليما غير مريض، في طريقه إلى الله –عزوجل– كأثر تنوع الطعام عليه، وفي قوله: "من أنفق زوجين في سبيل الله" أي كرر الآن وفي هذا إشارة إلى أن الأصل في العبادات المداومة عليه، فمن أراد أن يصنع أو أن يتعبد إلى الله سبحانه وتعالى بسنة فالواجب عليه أن يفحص استعداده على الثبات عليها، فكان السلف يكرهون التلون، إذا فعلوا عبادة ثبتوا عليها، وثبت في الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" فالعمل الدائم القليل أحب إلى الله عز وجل من العمل الكثير، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا فعل عبادة أثبتها كان يثبتها، ولم يعرف عن السلف الصالح رضوان الله عليهم أنهم فعلوا شيئا ثم تركوه، إذا فعلوا شيئا ثبتوا عليه وبقوا عليه، عبد الله ابن عمر لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل، وقد قال

شيخ الإسلام من كان يمكث في المسجد عظم حق قيام الليل أكثر ممن لا يجلس في المسجد، قال عليه الصلاة والسلام: "نعم الرجل هو، إلا أنه كان يقوم الليل ثم تركه"، فلما سمع ابن عمر هذه الكلمة من النبي -صلى الله عليه وسلم- كان لا ينام إلا القليل، وكان يقوم الليل، فلم يعرف عن أحد من السلف أنه فعل شيئا ثم تركه، ولذا في الطريق إلى الله عزوجل وفي فقه العبادة أن تفحص استعدادك في العبادة، فإن كنت تثبت عليها افعلها، وإلا فهيء نفسك لئن تستعد للعبادة، فإن فعلتها فاثبت عليها حتى الممات، ثم تدخل عبادة ثانية ثم ثالثة، ولذا قيل في حق كثير من العباد والزهاد إنه لو قيل له: إنك ستموت غدا ما استطاع أن يسجد سجدة أو يزيد سجدة على أعماله، فأعماله كلها صار بها إلى الله تعالى بفقه وثبات، والمراد بقوله: "زوجين" الكثرة لا الاثنين، وإنما للثبات على هذه العبادة، فالعبادة التي هي واجب الوقت لا تفعل إلا بالوقت ولا تفعل شهوة، ولا حماسا، وإنما تفعل لله عزوجل، ولهذا دائما المخلص في عبادته لله عزوجل يثبت عليها، ورجل تصدق ثلاث مرات ولم يضع أي من الصدقات في محلها؛ لكن لماذا فعلها ثلاث مرات؟ قال أهل العلم: لأنه مخلص، والمخلص في عبادته يثبت على فعله، ولا ينقطع عنها، ولابد أن تضع قرينة مهمة جدا أن تنظر لفعل الصحابة فالذي تعبدوه وتقربوا به إلى الله هو أصل أصيل، وينبغي أن تسير خلفهم، وتنظر إلى أحوالهم وأفعالهم في ثبات وبقاء على عبادة الله -عزوجل-.

موضوع فضائل العبادات: تكلم جمع من أهل العلم في فضائل الأعمال، ومن هؤلاء الضياء المقدسي له رسالة مطبوعة في فضائل الأعمال، شرحها عالم وهو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، له شرح بديع وجميل سماه: "تناضل العمال شرح فضائل الأعمال"، وهذا في علمي وفي فهمي من أحسن الكتب التي تعرضت لفضائل الأعمال، وشرحتها وبينتها، وهو مطبوع في ثماني

مجلدات، لا يوجد كتاب فيه بروز علمي فيه تفصيل وتدقيق في المفاضلة في الأعمال وبيان الأدلة، وبيان كلام أهل العلم، وبيان التحرير وتوجيه الخلاف مثل هذا الكتاب.

يبقى كلام الإمام الشاطبي في كتاب الموافقات: (25/5 وما بعد) له كلام جميل، وأورد أحاديث كثيرة، منها حديث أن أفضل الأعمال الصلاة في وقتها، هذا التصادم في جنس الأعمال، وكلامنا ليس في جنس الأعمال؛ وإنما كلامنا في أفضل الأعمال إلى الله من واجب الوقت، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن أي الأعمال أفضل؟ فتعددت أجوبته -صلى الله عليه وسلم- ، فقال في بعض الأحاديث الصحيحة: الصلاة على وقتها، ثم قال: بر الوالدين، ثم قال: الجهاد في سبيل الله، في البخاري ومسلم: قال أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله، ثم قال: الجهاد في سبيل الله، ثم قال: حج بيت الله، وهذا جواب على غير الجواب الأول، وعند النسائي من حديث أبي أمامة قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- أمرني بأمر أخذه عنك، فقال: عليك بالصوم فإنه لا مثيل له، وعند الترمذي سئل أي الأعمال أفضل عند الله؟ فقال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات.

إذن فضائل الأعمال تتفاوت حسب حال المكلف، جنس العمل يتفاوت حسب أعمال المكلفين، أو حسب الوقت الذي شرحه المقريزي في كلامه، ونحن الآن في المفاضلات، وأغلب المفاضلات الصواب فيها التفصيل لا الإطلاق، فأيهما أفضل: القيام أم السجود؟ نقول التفصيل، فذكر القيام أفضل من ذكر السجود، وهيئة السجود أقرب من هيئة القيام، والسجود لا يكون إلا لله، وهيئة السجود أحب إلى الله من هيئة القيام.

أيهما افضل المشي من البيت البعيد أو من البيت القريب؟ الجواب: التفصيل، المشي من البيت البعيد أفضل من البيت القريب، لأنه ثبت: "دياركم تكتب آثاركم"، والبيت القريب أحب إلى الله من البيت البعيد.

فيما يخص المكلفين أيهما أفضل التهليل والتسبيح أم الأذكار سئل هذا ابن الجوزي، فقال: "التهليل والتسبيح طيب الطائعين والاستغفار صابون العصاة"؛ فكثير من المعاصي تحتاج إلى صابون، وكثير من الطاعات تحتاج إلى طيب، والاستغفار بعد الصلوات، وكل عبادة عظيمة تحتاج إلى استغفار: {قلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ}، والاستقامة عسرة، ولما كانت كذلك أمر الله تعالى بالاستغفار، والأعمال العظيمة تحتاج إلى استغفار.

فأي عمل تعمله استغفر حتى ينقيك من الشوائب في العمل، فأولا وأخيرا هنالك مفاضلة في مثل هذه الأعمال، هنالك مفاضلة في حق بعض الأشخاص، هنالك مفاضلة هي فيما يحبها الله تعالى ويرضاها، وهي التي تكلم عنها الشارح في الفضل واجب الوقت، وفضل الوقت الذي يحبه الله تعالى ويرضاه، هو فضل الأعمال ومن الخطأ إطلاق قول مثلا هذا تفضيل مطلق وتفضيل مقيد على ما جرى، فمن فضل شيئا بإطلاق وحكم هواه، ما تطمئن إليه نفسه، الإنسان العابد له هوى في العبادة فمن صار نحو هواه حكم غيره لا محالة، وأما العالم الذي هو ملتزم بالإخلاص والاتباع فيفكر ما ورد في الشرع وهذا خرج عن دائرة هواه إلى أمر الله؛ فالأصناف الثلاثة الأولى حكموا أشياء وردت في الشرع ولهم فيما هوى، وأما الرابع: الذي هو يحبه الله تعالى هذا مآل من حكم أمرالله وجعله حاكما على ما يحب ويرضى وجعل أمر الله الأصل.

بقي مسألة في الكتاب وهي مهمة، وهذه المسألة مسألة العبادة وحكمتها وطرق وأصناف أصحاب العقائد الصحيحة وأصحاب العقائد الباطلة فيها، أيضا ذكر المصنف أربعة أنواع وبين ثلاثة منها ولها أثر كبير على حال العبد إن سجد إلى الله عز وجل وهو بحق هذا الكتاب أخرجه في توحيد الألوهية، وما ترك شيئا إلا وقد ذكره فيه، بدأه فيه وختم هذا الكتاب بهذه المسألة.

